

بحث طريف

في ناصيف وناصيف وناصيف

للاستاذ الشيخ عبد القادر المغربي
مدير ورئيس مجمع العلمي العربي بدمشق

أول ما يخطر ببال القاري عند سماعه اسم من اسمه (ناصيف) بكسر الصاد من دون ياء بعدها - وأشهرهم الأديب المصري الكبير حفي بك ناصف - أن كلمة (ناصيف) من الكلمات النصحى، وأنها صيغة عربية لا شائبة فيها، وأنها مشتقة من (الناصفة) وهي مصدر نَصَفْتُ إِذَا خَدَمْتُ: فَنَاصِيفُ خَادِمٌ. وهذا المعنى هو المراد من اسم (ناصيف) في الأرجح: فمن سمي ابنة (ناصيفاً) كأنه أراد التواضع في هذه التسمية أي تسميته بالخادم على حد قولهم «خادم القوم سيدهم».

وما يدرينا أن يكون والده اقماسه بذلك رجاء ان يعيش مذ جعله خادماً لأحد الأولياء كالبديوي مثلاً. وتكون الاضافة للبديوي قد استعملت او لوحظت اولاً ثم ترسيت مرة واحدة: وهذا كلقب (الناصيف بن عباد) فان أصل (الناصيف) (صاحب ابن العميد) ثم اكتسب بالناصيف، وأصبح ذلك لقباً له. أما اسم (ناصيف) في لهجة أهل الشام ولا سيما لبنان فهو يُلْتَقِظُ بياض زائدة بعد العباد هكذا (ناصيفيف)، وأشهر من سمي به (الشيخ ناصيف البارزي) الشاعر الشبان المشهور، وهذه الياء الزائدة في (ناصيف) هي ياء إشباع أي إشباع كسرة الصاد: تمد كسرة فيقولونها ياء. وهو مما يفعله العرب في بعض كلمات لغتهم، وله شواهد كثيرة، وأخصه بعضهم بالشعر فيكون ضرورة ويبعد أن تكون كلمة (ناصيف) ذات الياء معرفة عن (ناصيف) بمعنى ناصف الشيء.

ولقائل أن يقول: إن أصل (ناصيف) بالياء، ناصيف بمعنى خادم كالناصيف. وقد سمي المتأخرون أبناءهم ناصيف، وأشهر من سمي به في الحجاز أحمد ناصيف أوجه جدة وأكبر أعيانها. وتأويل التسمية بنصيف على معنى الخادم كالتأويل الذي ذكرناه في ناصف

وأردت أن أستأنس بكتب اللغة فراجت الناج فوجدته يقول في أصله كأنه على القاموس ما نصه (وقد سمي ناصيفاً أي أن العرب يسمون أبناءهم ناصيفاً) ولكنه لم يبين لنا وجه اشتقاقها، فلم تبق شبهة في أن العرب يعرفون ناصيفاً (من دون ياء اعتسماً). ولم يذكر

شاح نصيفاً ولا ناصيفاً (بالياء) في أعلام العرب . فيكون الظاهر في كلمة (ناصيف) أنها كلمة عربية عامية مولدة من (ناصف) باشباع ككرة سادها . أما (نصيف) فعربية محضة بمعنى الخادم ، لكنهم أي العرب الأقدمين لم يسعوا بها

واتفق لي أن كنت أطالع رسالة للمعلم تقولا الترك اللباني ضمنها حوادث حملة نابليون على مصر وسوريا وهذه الرسالة منشورة برمتها في تاريخ الأمير حيدر الشهابي ، فرأيت للمعلم تقولا يذكر بين رجال ذلك العهد اسم (ناصيف باشا ابن العظم) وكرر ذكره بهذا الاسم أو بهذه الصيغة ، فسألت سديتي وجيه دمشق الكبير بديع بك المؤيد العظم هل كان يوجد في أجداده من اسمه (ناصيف باشا) وذكرت له الحادثة التاريخية التي ذكرها المعلم تقولا وقد جرى فيها اسم (ناصيف) بياء ، بعد الصاد مراراً . فقال هو (ناصوح باشا ابن سعد الدين باشا) وهو جد والدي وله مشاركة في الأحداث التي وقعت في القطر المصري عند خروج نابليون وقبل استيلاء محمد علي . وتمجّب معاليه من تسمية جده باسم ناصيف وتساءل عن السبب . ثم قال : إن جده هذا مدفون في حماه وأن القبة التي دفن تحتها تسمى قبة ناصيف (بالياء) . وكذا قهوة كان بناها وما زال أهل حماه إلى اليوم يسعونها (قهوة ناصيف)

فجملت من يومئذ أفكر في كيف نشأ هذا التحريف من ناصوح إلى ناصيف . حتى تصفحت يوماً تاريخ (خلاصة الأثر) للدجيني الدمشقي . فوقع نظري على ترجمة (ناصوح باشا) الذي تقلد ولاية حلب قبيل سنة ألف وعشرين للهجرة أي منذ أكثر من ثلاثمائة سنة وأصبح (داماداً) بعد ذلك . فقال الطيبي في فاتحة الترجمة ما نصه : (ناصوح باشا وشهرته بناصيف باشا ، وهذه عادة الأتراك في تلاعيمهم بالحروف فيقولون في ناصوح ناصف . وتبدلاتهم ليس لها حد محصرها ، ولا قاعدة تضبطها . اهـ) فقلت في نفسي (قطعت جبهة قول كل خطيب) وهذا التحريف أي تحريف ناصوح إلى ناصف — وإن كان غريباً — لا يجد بداً من قبوله ، لأن العلامة المحيي الذي دلنا عليه من أعرف الناس بثقافة ذلك الزمن ، وهو أديب كبير في اللغة العربية . ولا لظنه يحول اللغة التركية ولا شيئاً من ثقافة أتراك زمانه . وقد رحل إلى عاصمتهم ودون في تاريخه تراجم طائفة كبيرة من علماءهم وأدبائهم ، وله فيهم أصدقاء ومراسلون . على أن قوله هذا في تحريف ناصوح أو ناصف إنما ينطبق على التهجئة التركية العاشية بين عامة الأتراك . وأما خاصتهم فبلغظون ناصوح على عروتها . هذه العلامة (جودت باشا) في تاريخه يذكر اسم (ناصوح باشا العظم) اشارة بعد المرة ولا يسميه إلا (ناصوح) لا (ناصيف) ، فلا حرج علينا بعد كل ما تقدم أن تقررو المسألة هكذا

إنه يوجد بين أسماء الأعلام العربية اسم (ناصيف) وهذا الاسم تارة يكون عربياً محضاً كما في مستدرك التاج ، وهو مشتق في الأصل من (النصف) ، بمعنى الخدمة ، وتارة يكون

مولداً حرفته اللهجة التركية عن اسم (نصوح) فنصوح باشا حرفته الأتراك أن ناصف باشا، ونظراً إلى من دون ياء كما يفهم من المعنى. أما نغصم فتقولاً أتترك ومعاصروه فقد لفظوا به (ناصيف باشا) زيادة ياء. فناصيف هي لهجة لبنانية سُمي بها الشيعة والمسيحيون طائفة من أتباعهم : ناصيف باش الأسمد وحده الأثنى ناصيف النصارى ، وناصيف المغلوب ، وناصيف البازجى وغيرهم. فالشيخ ناصيف البازجى يكون العواصم في اسمه إذن الشيخ نصوح البازجى) فليصح آخرنا اللبانيون اسم شاعرهم إن شاءوا، ويأتى ابنه العلامة للشيخ إبراهيم يكون حياً ويقراً ما قلناه في تصحيح اسم أبيه فندمع فنراه في هذه المسألة ، فإنه لعمرى ابن مجدتها وذارس حبسها. وإذا ربنا الكلمات الثلاث ترتيباً قاموسياً قلنا في ترتيبها وتصيرها هكذا

(ناصيف) بكسر الصاد اسم علم عربي محض كما يفهم من مستدرك التاج

(ناصيف) أيضاً اسم علم عربي غير محض العربية حرفته الأتراك العثمانيون من اسم

(نصوح) . قاله المحي في تاريخه

(ناصيف) زيادة ياء بعد الصاد اسم علم مولد . وليس عربي محض . وهو يحتمل أن

يكون محرفاً من اسم (ناصف) المحرف من (نصوح) فيكون فيه تحريفان تحريف ولدته

اللهجة التركية عن (نصوح) وتحريف ولدته اللهجة اللبنانية عن (ناصيف)

﴿ من وحي الروح ﴾

« وأين كل ما صبته الشمس والكواكب من نيرانها ، وما أخرجته فصول الأرض من وشبها وألوانها ، وما هنت به الطير من أظاريدها وألوانها ، وما تلاصقت به الدنيا من أمواج ناسها . أين ما صح وما فسد ، وما صدق أو كذب ، وما ضر أو نفع ، وما علا أو نزل ؟ في كل لحظة تغنى هذه الدنيا لفرغ ثم تفرغ لتغنى ، وما ضيها ومستقبلها ، مطرفتان يمر بينهما كل موجود لتعطيه . وكان الحياة ليست أكثر من تجربة الحياة »

« زماناً يقصر أو يطول ، وما العجيب أن لا تتلح التجربة في أحد ولكن العجيب أن لا تتقطع وهي لا تتلح ، والعالم كالبحر من السراب يهوج به أديم الأرض ثم لا تملأ »

« أمواجه معلقة ، والحقيقة في كل شيء لا تزال تمر من تحليل إلى تركيب ومن تركيب إلى تحليل ، لأن شعور أهل الزمن بالزمن لا يحتمل المنفى الخالد ، ولعل سبب الموت »

« أنك لا تجد انساناً يعيش في حقيقته الانسانية فلا هذه الحقيقة كُتبت له كاملة ولا هو »

« خلق لها كاملاً ، وفي الانسان كالطبيعة أرض ومجالاً قربة لا ينشأه مما فوقه غير النظم »

« وقد خلق مقدوماً ، نشقة منه في أرضه وشقة في مائه ، فإذا حضره الموت ضرب الصربة »

« بين هاتين أخذت الحياة المعاة وجذت الأرض الأرض » (منظر صادق الزائى)